مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal For Researches And Scientific Activities
العدد الثاني عشر
سبتمبر September 2025
المجلد الاول

زراعة الزيتون في المغرب القديم وتطورها خلال الفترة الرومانية

زينب محمد الطاهر المرموري
قسم التاريخ.. كلية التربية / زوارة جامعة الزاوية
Z.marmuri@zu.edu.ly

الملخص:

هدف البحث إلى بحث زراعة الزيتون في المغرب القديم وتطورها خلال الفترة الرومانية، بهدف فهم أهميتها الاقتصادية والاجتماعية، وتحديد العوامل الطبيعية والتقنية التي ساعدت على انتشارها وتحسين إنتاجها. ويهدف البحث إلى: أولاً، تحليل دور الزيتون في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المغرب القديم، وثانياً، بحث التطورات التقنية والزراعية التي أدخلها الرومان لتحسين الإنتاج وجودة الزيت.

اعتمد البحث على منهجية وصفية وتحليلية تجمع بين بحث المصادر التاريخية والأثرية، وربطها بالبيئة الطبيعية والاجتماعية، مع التركيز على التحليل الوثائقي والمعاينة الميدانية للمعاصر والمخازن القديمة. وقد استخدمت أدوات البحث التالية: المصادر الأولية مثل نقوش، مخطوطات، وكتابات المؤرخين الكلاسيكيين كبلينوس وكولوملا وفارون، بالإضافة إلى آثار المعاصر القديمة؛ المصادر الثانوية من دراسات حديثة ومقالات علمية وكتب تاريخية متخصصة؛ المعاينة الميدانية لمعاصر الزيتون وبقايا الزراعة والصناعة؛ والتحليل الوثائقي لربط المعلومات المكتوبة بالواقع الطبيعي والاجتماعي والتقني.

أظهرت النتائج أن الزيتون كان عنصراً أساسياً في النظام الغذائي والاجتماعي والاقتصادي قبل الرومان حيث استُخدم في الغذاء والطبيعة العلاجية والصناعة، واستفاد السكان من المناخ والتربة الملائمة وتقنيات الغرس والتطعيم والري والحرث لضمان الإنتاجية. ومع وصول الرومان، توسعت زراعة الزيتون، وأدخلت تحسينات تقنية في المعاصر وطرق العصر، مما عزز جودة الزيت وزاد الإنتاج، واسهم في التجارة الداخلية والخارجية واستقرار المجتمع، مؤكداً أن الزيتون لم يكن مجرد محصول زراعي بل عنصرًا استراتيجياً في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمغرب القديم.

Olive cultivation in ancient Morocco and its development during the Roman period

Abstract:

This research aims to investigate olive cultivation in the ancient Maghreb and its development during the Roman period, seeking to understand its economic and social significance and to identify the natural and technical factors that facilitated its expansion and production enhancement. The study specifically objectives: first, to analyze the role of olives in the economic, social, and cultural life of the ancient Maghreb; and second, to examine the technical and agricultural advancements introduced by the Romans to improve production and oil quality. The study adopts a descriptive and analytical methodology, integrating historical and archaeological sources with their natural and social environments. It focuses on documentary analysis and field observations of ancient olive presses and storage facilities. The research tools employed include: primary sources such as inscriptions, manuscripts, and the writings of classical historians like Pliny, Columella, and Varro, in addition to archaeological remains of ancient presses; secondary sources consisting of modern studies, scientific articles, and specialized historical books; field surveys of olive presses and agricultural-industrial remains; and documentary analysis to link written records with the natural, social, and technical reality.

The results demonstrate that olives were a fundamental element of the dietary, social, and economic system prior to the Roman era, utilized for food, medicinal purposes, and industry. Inhabitants capitalized on the favorable climate, soil, and techniques such as planting, grafting, irrigation, and plowing to ensure productivity. With the advent of the Romans, olive cultivation expanded, and technical improvements were introduced in pressing methods and equipment. This led to enhanced oil quality and increased production, significantly contributing to domestic and foreign trade as well as social stability. The study confirms that olives were not merely an agricultural crop but a strategic element in the economic, social, and cultural development of the ancient Maghreb.

المقدمة

تُعد شجرة الزيتون من أقدم الأشجار المثمرة في منطقة المغرب القديم، فقد عرفها الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ، كما تؤكد الرسوم الصخرية في مناطق مثل التاسيلي، بالإضافة إلى المصادر المصرية القديمة التي تشير إلى استقدام الليبيين لشجيرات الزيتون واستخدام الزيت في الطقوس الدينية. في المغرب القديم، ادى الزيتون دورًا اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا محوريًا، حيث كان يستخدم في الغذاء، الصناعة، العلاج، التدليك، وحتى الطقوس الدينية، قبل أن يُدخل الرومان تقنيات زراعية وصناعية متقدمة لتحسين جودة الزيت وزيادة الإنتاج، مع وصول الرومان، شهدت زراعة الزيتون تحولًا كبيرًا على مستوى التقنيات الزراعية، والغرس، والتطعيم، والجني، والعصر، وصولًا إلى التخزين والتصدير. فقد أسهمت التوسعات الرومانية في تطوير المعاصر، ورفع إنتاج الزيت بشكل كبير، ما جعل المغرب القديم أحد المراكز الرئيسة لإنتاج زيت الزيتون في حوض البحر الأبيض المتوسط، وأداة فعالة للسيطرة الاقتصادية والاجتماعية على السكان المحليين، ويطرح هذا الوضع التاريخي عدة تساؤلات حول تطور زراعة الزيتون في المغرب القديم، وطرق انتقال المعارف الزراعية، وتأثير الاحتلال الروماني على الإنتاج الزراعي، إلى جانب أثر الزيتون على الاقتصاد والمجتمع والثقافة.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث الإجابة على السؤال الرئيس التالي: **كيف تطورت زراعة الزيتون في المغرب القديم قبل وبعد وصول الرومان.؟**

ويتفرع من السؤال الرئيسي مجموعة الأسئلة التالية:

- ما مدى تأثير العوامل الطبيعية والتقنية والاجتماعية على الإنتاجية ولأهميته الاقتصادية والاجتماعية لزراعة الزيتون في المغرب القديم.؟
- كيف كانت زراعة الزيتون وشروط نموها في المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني.؟
- ما العوامل الطبيعية والبيئية التي ساعدت على انتشاره؟
- وما التغيرات التقنية والاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على زراعة الزيتون وإنتاجه خلال الفترة الرومانية؟ . وكيف أثرت على المجتمع والاقتصاد المحلي؟

اهداف البحث:

يهدف البحث إلى بحث تطور زراعة الزيتون في المغرب القديم وفق المحاور الثلاثة: قدم الزيتون وشروط نموه، تطور الزراعة خلال الفترة الرومانية، وتقنيات الإنتاج وأهميته الاقتصادية والاجتماعية، وتحليل أثر العوامل المناخية، التربوية، والتقنية والاجتماعية على إنتاج الزيتون واستخداماته في الحياة الاقتصادية والثقافية.

أهمية البحث:

تتمثل اهمية البحث في فهم تطور الزراعة في المغرب القديم وعلاقة الإنسان بالبيئة، والتقنيات الزراعية القديمة وانتقالها بين الحضارات، وابراز دور الزيتون في الاقتصاد المحلي والتجارة، وأثره على تنظيم المجتمع، والتقاليد الثقافية والدينية المرتبطة به.

ويركز على المغرب القديم، أي مناطق شمال إفريقيا خلال الفترة الممتدة مما قبل الاحتلال الروماني حتى نهاية السيطرة الرومانية في القرن الثالث الميلادي، ويقتصر على بحث زراعة الزيتون، تقنيات الغرس التطعيم، الجني، العصر، التخزين، التصدير، والأهمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، دون التوسع في باقي المحاصيل الزراعية.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي :لوصف ممارسات الزراعة التقليدية، وتطور تقنيات الإنتاج والمعاصر وعلى المنهج التحليلي :لتحليل العوامل المناخية والتربوية والاجتماعية المؤثرة على إنتاج الزيتون، وعلى المنهج المقارن :لمقارنة زراعة الزيتون قبل الرومان وبعد وصولهم، مع رصد التغيرات التقنية والاقتصادية والاجتماعية، ويعتمد البحث على المقالات العلمية والكتب التاريخية والأثرية المتخصصة.

خطة البحث: تتكون خطة البحث من ثلاثة محاور

المحور الأول: قدم الزيتون وشروط نموه في المغرب القديم

المحور الثاني: تطور زراعة الزيتون خلال الفترة الرومانية

المحور الثالث: تقنيات الإنتاج وأهمية الزيتون الاقتصادية والاجتماعية

المحور الأول: قدم الزيتون وشروط نموه في المغرب القديم

تمهيد:

تُعد شجرة الزيتون واحدة من أقدم الأشجار المثمرة في منطقة المغرب القديم، وقد عرفتها حضارات متعددة منذ عصور ما قبل التاريخ، حيث وثّقت آثار ورسوم صخرية في منطقة التاسيلي وجود أشجار الزيتون منذ العصور الحجرية، بعيدًا عن تأثيرات الحضارات الخارجية. وتشير المصادر المصرية القديمة، مثل لوحة «التحنو» في هيراكليوبوليس، إلى معرفة المصريين لشجيرات الزيتون التي استقدمها الملوك الليبيون واستخدامهم للزيت في طقوس دينية وتزيين جباه الآلهة، وهو ما يعكس الأهمية الاقتصادية والدينية لهذه الشجرة في شمال إفريقيا[1] .

في المغرب القديم كانت الزيتونة جزءًا أساسيًا من النظام الغذائي، حيث استُعمل الزيت في الطهي كدهون رئيسية، وفي صناعة الصابون والزيوت العطرية، كما استخدم لأغراض طبية مثل علاج الجروح وألم المفاصل، وتدليك الرياضيين في الحمامات العمومية[1] . هذا الاستخدام المتعدد أعطى الزيتون مكانة اقتصادية واجتماعية كبيرة قبل وصول الرومان. وقد أكد المؤرخون الكلاسيكيون، بما في ذلك هيرودوت وأوريليوس فكتور، انتشار بساتين الزيتون في مناطق مثل الرأس الطيب ولبدة[2]

المناخ والتربة الملائمة للزراعة

أدرك الرومان، عند وصولهم إلى المغرب القديم، أن الزيتون هو الأنسب للزراعة في المنطقة بسبب تكيفه مع الظروف المناخية المحلية؛ فهو لا يتحمل الحرارة المفرطة أو البرودة الشديدة. وكان المناخ الأمثل لزراعته هو الذي لا تنخفض فيه درجات الحرارة عن 8 درجات مئوية.

أما التربة، فهي عنصر حاسم في نجاح الزراعة، إذ يحتاج الزيتون إلى ترب تحتفظ بالرطوبة لفترات طويلة. وقد تبين أنه يزدهر في التربة الطينية الثقيلة والتربة الكلسية، بينما لا يجود في التربة الرملية الخفيفة التي تفقد الماء بسرعة. وبفضل جذوره العميقة، تتحمل الشجرة فترات الجفاف الطويلة، مما يجعلها مناسبة للأراضي شبه الجافة والجبلية، ويقلل من حاجتها للأسمدة، مع تجنب الأراضي المستنقعية والملحية[3].

تهيئة الأرض والغرس

تشمل الزراعة المثلى للزيتون إعداد الأرض بدقة قبل الغرس، من خلال إزالة الأشجار القديمة والحشائش والصخور الكبيرة، ثم حرث الأرض وتهويتها عدة مرات لضمان التربة المناسبة للنمو.

ويُترك حوالي 60 قدمًا بين الأشجار في التربة الثقيلة، و40 قدمًا (ما يعادل نحو مترين) في التربة الخفيفة لضمان التهوية وتوفر الضوء الكافي. كما يلزم سقي الأشجار خلال فترات الجفاف وحرث الأرض مرتين على الأقل سنويًا، خصوصًا خلال الصيف، لتحفيز نمو الجذور[4]

طرق التكاثر والتطعيم

تتم زراعة الزيتون عادةً عن طريق غرس الأغصان أو الأجزاء المنفصلة من الجذع، بينما استخدم الرومان تقنية التطعيم على جذور الزيتون البري لضمان استمرار المحصول وزيادة الإنتاجية. وأشار بلينوس الكبير إلى أن سكان إفريقيا كانوا يتقنون هذه التقنية، حيث يُزال القلف القديم من الغصن، ثم تُنقل برعمة من شجرة أخرى وتُغرس مع لحائها في مكان البرعم الأصلي، مع حماية البرعم وربطه لضمان نجاح التطعيم. وقد استمرت هذه التقنية حتى العصر الحديث في بعض مناطق القبائل[1]

النضج والقطف

يبدأ نضج الزيتون في شهر ديسمبر، حيث تكون الحبة خضراء وتُستخدم في صناعة العطور والزيوت الخفيفة. ومع تحولها إلى اللون الأسود، تصبح الحبة ناضجة وجاهزة للقطف، ويحرص المزارعون على جمعها بسرعة لتجنب التلف أو انخفاض الغلة. وقد اهتم الرومان بهذه العملية مراقبةً لضمان أفضل جودة للزيت، وهو ما يدل على خبرتهم في الزراعة وإدارة الموارد[2] .

إن قدم الزيتون في المغرب القديم، واستخداماته المتعددة قبل الرومان، يوضّح أن الشجرة كانت جزءًا لا يتجزأ من حياة السكان اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا. كما أن الظروف البيئية والمناخية الملائمة، إلى جانب طرق الغرس والتطعيم المتقنة، ساعدت على انتشارها وتوسع زراعتها لاحقًا خلال الفترة الرومانية، مما مهد الطريق لتحويل المغرب القديم إلى منطقة إنتاج رئيسية للزيت.

المحور الثاني: تطور زراعة الزيتون خلال الفترة الرومانية

تمهيد:

شهدت زراعة الزيتون في منطقة المغرب القديم تطورًا كبيرًا خلال الفترة الرومانية، خصوصًا منذ القرن الثاني الميلادي، وذلك نتيجة تراجع إنتاج الزيتون في الأراضي الإيطالية وقلة المساحات المخصصة له، مما أدّى إلى نقص المعروض في الأسواق الرومانية[3] . وقد انعكس هذا التراجع على الحاجة إلى البحث عن بدائل في المناطق المستعمرة، وكان المغرب القديم وإفريقيا الرومانية من أبرز هذه البدائل.

أسباب تراجع زراعة الزيتون في روما

اجتمعت عدة عوامل أدّت إلى تراجع الزراعة في روما، خصوصًا زراعة الزيتون؛ أولاً، اعتمد كبار الملاك على االديد الذين كانت خبرتهم الزراعية محدودة، مما أضعف الإنتاجية، ثانياً، أدّت الحروب الأهلية وانهيار الطبقة الفلاحية إلى نزوح المزارعين إلى المدن وتحويل أراضي الزيتون إلى مراعٍ شاسعة، مما قلّل المساحات المزروعة، ثالثًا، سياسات كبار الملاك في الاستيلاء على أراضي الفلاحين الفقراء أدّت إلى تركز الأراضي بين أيدي الأقلية الأرستقراطية، إضافة إلى تأثير الاحتلال العسكري في زيادة هذه الممارسات.

كما أدّت أساليب بعض الفلاحين مثل تقارب فترات المناوبة الزراعية إلى استنزاف التربة وتقليل خصوبتها، ما اسهم في تراجع الإنتاج الزراعي ، وقد أسفر هذا الوضع عن ارتفاع أعداد االديد والمستأجرين الذين عملوا في الأراضي بدل الفلاحين المحليين، مما خلق هيكلًا اجتماعيًا جديدًا يسيطر فيه النبلاء على الإنتاج الزراعي وينتفعون من فائض الإنتاج[1] .

اهتمام الرومان بزراعة الزيتون في المغرب القديم

إدراكًا لنقص الزيت في الأسواق الرومانية، اهتم أباطرة روما بتوسيع زراعة الزيتون في المناطق الأفريقية، خصوصًا في المغرب القديم، وقدموا امتيازات ورخصًا خاصة لتشجيع الزراعة، وقد ساعدت الطبيعة المناخية الملائمة لهذه المناطق على نجاح هذه السياسة، إذ تتميز الأراضي المغاربية باعتدال الحرارة وتوفر المياه، ما جعلها صالحة لزراعة الزيتون في السهول العليا مثل تبسة، سوق أهراس، قفصة، وسفوح جبال الأوراس والهضاب المجاورة[2].

بلغت زراعة الزيتون أوج اتساعها في القرن الثالث الميلادي، حيث توسّعت نحو الجنوب وشملت الأودية والسهول بين ماسكولة وتيفست وصولاً إلى مشارف الصحراء، وظلت الزيتونة الشجرة المثمرة الأولى في المنطقة [8]. وقد ارتبط هذا التوسع بسياسات الأباطرة الذين اعتبروا زراعة الزيتون وسيلةً لرومنة الأرض والإنسان، إذ ساعدت الزراعة على تثبيت القبائل المستقرة، وإتاحة فرص عمل في معاصر الزيت، بالإضافة إلى تعزيز السيطرة الرومانية على السكان الرحل[1]

الأهمية الاقتصادية والاجتماعية لزيت الزيتون

كان لزيت الزيتون أهمية كبرى في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصور القديمة، إذ شكّل عنصراً أساسيًا في الغذاء، واستخدم كوقود للمصابيح، وكمنتج طبي وعلاجي. فقد كان يستعمل في

علاج السعال وألم المفاصل، وتدليك الأطفال حديثي الولادة، وكذلك للعناية بالبشرة والجروح، في منطقة القبائل الكبرى كانت هناك طقوس خاصة باستخدام الزيت في تدليك حديثي الولادة واستحمامهم بمزيج من الزيت والزعفران، إضافة إلى استخدامه في صناعة الصابون مع العطور الطبيعية مثل زيت الورد.

كما استهلكت الحمامات العمومية والقاعات الرياضية (Gymnases) كميات كبيرة من الزيت، خصوصًا عند الرومان، حيث كانت إفريقيا وحدها تصدر نحو خمسة ملايين رطل سنويًا، ما يعكس وفرة الإنتاج وأهميته الاقتصادية، وأشار بلينوس إلى أن للزيت خصائص عدة؛ فهو يستخدم في تغليف براميل الزيت لتجنب تلفها، ويمنع تسلل النمل، ويحمي الأقمشة من الحشرات، كما يستخدم لعلاج التقرحات الفموية عند خلطه مع الملح.

ورغم المنافسة التي واجهها الزيت الإفريقي من مناطق إنتاج أخرى في البحر الأبيض المتوسط، ظل زيت إفريقيا الرومانية متميزًا ومطلوبًا، حيث شكّل امتدادًا للثقافة والمناخ المتوسطي، وكان يعد القاسم المشترك بين سكان حوض البحر الأبيض المتوسط [2].

المحور الثالث: تقنيات الإنتاج وأهمية الزيتون الاقتصادية والاجتماعية

تمهيد:

شهد إنتاج الزيتون في المغرب القديم تطورًا ملحوظًا مع وصول الرومان، الذين أدخلوا تقنيات متقدمة في كل مراحل الإنتاج بدءًا من الجني وحتى التخزين، ما اسهم في تحسين جودة الزيت وزيادة الإنتاجية[3].

- مرحلة الجني والقطف

تتم عملية جني الزيتون باستخدام عدة طرق تختلف في الفعالية والأثر على الشجرة:

1. **القطف بالعصا** :تُعد هذه طريقة قديمة وسهلة، لكنها قد تسبب كسر الأغصان وإلحاق الضرر بالشجرة. ولتفادي ذلك، يُنصح بضرب الأغصان من الداخل إلى الخارج حتى يسقط الزيتون دون الإضرار بالشجرة، وغالبًا ما كان يقوم بهذه العملية النساء والأطفال واديد بحسب كتب الزراعة القديمة.
2. **القطف باليد** :هذه الطريقة الأفضل للحفاظ على صحة الشجرة وجودة الثمار، حيث يتم جمعها بعناية دون إسقاطها أو ضربها، مما يحافظ على محتوى الزيت ويضمن جودة أعلى للمنتج

النهائي. وقد أكدت دراسات هنريات كامبسفابر نقلاً عن فارون أن القطف باليد هو الأنسب في زراعة الزيتون.

3. **التمشيط اليدوي** :يتم استخدام أدوات صغيرة لتمشيط الثمار وفصلها عن الأغصان، وما زالت هذه الطريقة التقليدية تمارس حتى اليوم في بعض المناطق[1]

مرحلة الطحن والاستخلاص: شهدت المغرب القديم تطورًا كبيرًا في تقنيات صناعة الزيت بعد وصول الرومان، الذين أدخلوا معاصر حجرية وخشبية متقدمة بدل الطرق البدائية القديمة التي تعتمد على سحق الثمار وتركها في الماء.

بعد القطف، يُنظَّف الزيتون من الأوراق والشوائب، ثم يُغسل ويُترك ليجف قبل وضعه في المعصرة. وإذا كانت الظروف باردة، يُؤجل العصر إلى اليوم الرابع بعد القطف، ويمكن إضافة قليل من الملح للحفاظ على جودة الزيت.

تتم عملية الطحن في معاصر حجرية أو خشبية باستخدام أحجار الرحى المتشابكة، حيث يكون الحجر السفلي ثابتًا والأعلى متحركًا ويدار بواسطة مقبض طويل (Mola Olearia) بعد الطحن، يُجمع العجين في أحواض لتدويره وخلطه (Rutrum Ferratum) لاستخراج عصير الزيتون المعروف باسم (الأموركا.Amorka)

من الأمثلة العملية على التقدم التقني المعاصر الرومانية، طاحونة حجرية بمنطقة **مادورش**)ولاية سوق أهراس الحالية) نُحتت من حجر واحد، حيث يدور الحجر حول محور خشبي يسمى الكولوميلا (Columella)، ويسمح بتصريف الأموركا عبر صفائح برونزية دقيقة(Dallots) ، مع الاحتفاظ بالبذور وفصلها عن الزيت، وتعد هذه التقنية أسرع من المعاصر التقليدية وتغذي معصرتين في وقت واحد [1]

مرحلة التصفية: تعد مرحلة التصفية من أهم مراحل صناعة الزيت، حيث يُوضَع الزيت المستخلص في أحواض أو خزانات بحيث يطفو الزيت على سطح الماء الساخن، ثم يُجمع الزيت النقي من السطح.

في المعاصر الرومانية، مثل **تيبازة**، وُجدت أحواض حجرية أو مصنوعة من الرصاص مزودة بفتحات تسمح بتدفق الزيت النقي تلقائيًا، مما قلّل الحاجة للتدخل اليدوي ، وقد أوصى كولوملا بعدم مزج الزيوت الناتجة عن مراحل العصر المختلفة لضمان جودة أعلى للزيت، حيث يُنتِج العصر الأول زيتًا ذا نوعية ممتازة، وتقل الجودة في المراحل التالية[2]

وسائل تخزين الزيت

اعتمد الرومان وسكان المغرب القديم على **الأمفورات والجرار الفخارية** لتخزين الزيت، وهي جرار مصنوعة من الطين المشوي، ذات عنق طويل ومقبضان تُستخدم لتخزين الزيت والخمور والمواد السائلة.

- في القرن الأول كانت النماذج الإيطالية والبونية سائدة، لكن في القرن الثاني ابتكر سكان المغرب القديم نماذج محلية خاصة.
- وُجدت ورشات لصناعة الجرار والأمفورات قرب الموانئ البحرية لتسهيل النقل البحري وتخزين المواد سائلة أخرى[3]

الأهمية الاقتصادية والاجتماعية لزيت الزيتون

ادى الزيت دورًا محوريًا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العالم القديم:

- **اقتصاديًا** :كان مصدر دخل رئيسي، إذ سمح إنتاج الزيت بكميات كبيرة بتصديره إلى روما وغيرها، وتوفير فرص عمل للعمال والنساء والأطفال.
- **اجتماعيًا وثقافيًا** :استخدم الزيت في التغذية، الإضاءة، العلاج، التدليك، وصناعة مستحضرات التجميل مثل الصابون والزيوت المعطرة.
- **تقنيًا** :ساعدت التطورات في المعاصر ووسائل التخزين على الحفاظ على جودة الزيت لفترات طويلة، وتمكين التجارة على نطاق واسع.

وبفضل هذه التطورات، أصبح زيت الزيتون ليس مجرد منتج غذائي بل رمزًا للرفاهية والثقافة والتقدم التقني في المغرب القديم، كما اسهم في تعزيز الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي للسكان المحليين تحت السيطرة الرومانية [1]

معاصر الزيتون في بلاد المغرب القديم وأهميتها الاقتصادية والاجتماعية

عرفت صناعة الزيتون في بلاد المغرب القديم تطورًا ملحوظًا مع توسع الزراعة الرومانية، إذ أدى الطلب الكبير على الزيت، الذي كان مادة أساسية في التغذية والإضاءة والطب، إلى زيادة الحاجة إلى إنشاء المعاصر وتوسيعها [2] ظهر عدة أشكال من المعاصر تتباين في الحجم والوظيفة الإنتاجية:

1. **المعاصر الكبرى (المعاصر الصناعية)**: المعاصر الكبرى كانت تمثل نمط الإنتاج الأكبر حجمًا في البلاد الرومانية، إذ تحتوي على 15 إلى 20 معصرة، وبعضها يصل إلى 21 منصة ضغط (Plates-formes)لعصر الزيتون، ومن أبرز الأمثلة معصرة **خربة عقوب** قرب سطيف، التي تتكون من بناية كبيرة تبلغ مساحتها نحو 1000 متر مربع، مزودة بمداخل للحيوانات المحملة بالزيتون، ومخازن للثمار والزيت بعد العصر.

ووجدت معاصر مماثلة في إقليم الشرشال، مثل **تاوريوين** و**بوغني** و**سيدي حادوش**، وهي بنايات مربعة أبعادها 42×32 مترًا تحيط بساحة مركزية تُستعمل لسحق الزيتون ونزع نواته قبل توزيعه على المعاصر المختلفة، وكانت مجهزة بقنوات لتزويدها بالمياه اللازمة لغسل الزيتون قبل العصر [1]

2. **معاصر المدن**: في المدن الكبرى التي اشتهرت بإنتاج الزيت، مثل **البروقنصلية**، **كويكول**، **المادور**، **ليلي**، وجدت معاصر أصغر حجمًا مقارنة بالمصانع الكبرى، لكنها متقدمة تقنيًا أيضًا. تحتوي معاصر مثل **بوحنيفة** و**تيقزيرت** على ساحات لتخزين الزيتون ومناضد حجرية مزودة بأحواض لتجميع الزيت بعد العصر، إضافةً إلى أجهزة خشبية لضمان سير العملية بكفاءة.

كما وُجدت آثار معاصر في (**Rusazusازفون** (محفورة على الصخور، وانتشرت المعاصر أيضًا داخل المدن النوميدية حيث كانت بعض الفيلات (Villae) مزودة بمرافق لعصر الزيتون، مثل **تيديس** في منطقة قسنطينة، ما يشير لدمج الإنتاج الزراعي مع النشاط السكني.

3. **المعاصر الريفية**: كانت المعاصر الريفية أصغر حجمًا، وتوجد داخل المزارع الرومانية، وتستخدم للاستهلاك العائلي، بينما يُطرح الفائض في الأسواق المحلية. أمثلة على ذلك توجد في **قوريني** مثل **سيدي أرحيم** و**دريانة الكويفية**، حيث كانت هذه المعاصر جزءًا من النظام الزراعي العائلي [2]

4.أهمية المعاصر في الاقتصاد المحلي:

أنواع المعاصر المختلفة—كبرى، مدنية، ريفية—ادت دورًا محوريًا في اقتصاد بلاد المغرب القديم:

- **اقتصاديًا** :ساعدت المعاصر على زيادة الإنتاج بكميات كبيرة، مما سمح بتصدير الزيت إلى روما وبقية المدن الإمبراطورية، وتوفير فرص عمل للعمال والأسر المحلية [20].
- **تقنيًا** :أدخل الرومان تحسينات كبيرة على طرق العصر، مثل استخدام مدقات متقدمة وأحواض حجرية وخشبية لفصل الزيت عن العجين بكفاءة أعلى [20].

- **اجتماعيًا وثقافيًا** :ساعدت المعاصر على تعزيز الأمن الغذائي واستقرار السكان، حيث كان الزيت أحد الموارد الأساسية في الحياة اليومية والطقوس الدينية [20].

5. تطور زراعة الزيتون في بلاد المغرب

تشير الدراسات الأثرية والنباتية إلى أن الزيتون كان معروفًا في المنطقة منذ العصور الحجرية، كما تظهر الرسوم الصخرية بمنطقة التاسيلي وجود الشجرة، إضافة إلى معرفة المصريين القدماء لها عن طريق الليبيين [21]. قبل الاحتلال الروماني، بدأ السكان المحليون والقرطاجيون بزراعة الزيتون وتوسيع رقعة البساتين، وهو ما أكده هيرودوت وديودور الصقلي وأوريليوس فكتور [21]. ومع وصول الرومان، استُغلت الظروف المناخية المناسبة والتربة المتنوعة لتعميم زراعة الزيتون في مناطق واسعة من الشرق إلى الغرب: من **طرابلس** إلى **الموريتانيا الطنجية**، مرورًا بالسهول والهضاب الداخلية مثل سوق أهراس، تبسة، قالمة، وسطيف [22].

العوامل الطبيعية المساعدة على انتشار الزيتون:

- **المناخ** :معتدل ولا تنخفض فيه درجات الحرارة إلى أقل من 7–8 درجات مئوية، ويتحمل الصقيع والجفاف نسبيًا [22].
- **التربة** :الطينية الثقيلة والكاسية تحتفظ بالرطوبة وتدعم نمو الجذور، بينما الترب الرملية الخفيفة أقل ملاءمة [22].
- **إمكانيات التطوير الزراعي** :الري، الحرث، التطعيم، اختيار الأصناف الأفضل، وترتيب المسافات بين الأشجار لضمان نمو صحي [22].

6 . الأهمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للزيتون

أصبحت زراعة الزيتون واستغلاله جزءًا استراتيجيًا من الاقتصاد الروماني:

- **اقتصاديًا** :بلغ إنتاج الزيت مستويات كبيرة، حيث قدر متوسط الإنتاج السنوي بنحو 30 مليون كغ في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، ما يعكس أهمية الزيت في الضرائب والإيرادات [23].
- **سياسيًا واجتماعيًا** :كان توزيع الزيت بالمجان على سكان روما أداة لضمان استقرار المجتمع ومنع الاضطرابات، كما وفر الأباطرة الأمن والحماية للمزارعين لضمان الإنتاج والتصدير [23].

- **تجاريًا** :أسهمت جودة الزيت المغاربي في فتح أسواق جديدة داخل الإمبراطورية، وتعزيز مكانة بلاد المغرب في شبكة التجارة المتوسطية [23].

نتائج البحث:

1- شجرة الزيتون كانت عنصراً محورياً في المغرب القديم، حيث ادت دوراً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً قبل وصول الرومان-

2- إذ استُخدم الزيت في الغذاء، الطقوس الدينية، العلاجات الطبية، وصناعة الصابون والزيوت العطرية، مما يعكس أهميتها المتعددة. وقد ساعد المناخ المعتدل والتربة الطينية والكلسية على انتشار الزيتون، بينما أسهمت تقنيات الغرس والتطعيم والري والحرث في تعزيز الإنتاجية واستدامة البساتين. مع وصول الرومان، شهدت زراعة الزيتون تطوراً كبيراً نتيجة الحاجة لتعويض نقص الزيت في الأسواق الرومانية، حيث تم توسيع المساحات المزروعة، إدخال أصناف محسنة، وتطوير المعاصر وتقنيات العصر، بما عزز جودة الزيت وكفاءته الإنتاجية، واسهم في دعم الاقتصاد المحلي والتجارة الخارجية. كما أظهرت النتائج

3- أن المعاصر الكبرى والمدنية والريفية ادت دوراً مهماً في تنظيم الإنتاج وتخزين الزيت، ووفرت فرص عمل للسكان، بينما أسهم الإنتاج المكثف في تعزيز الاستقرار الاجتماعي والسياسي من خلال توزيع الزيت وتأمين الغذاء. ومن خلال ربط التحليل الوثائقي بالمعاينة الميدانية.

4- الزيتون لم يكن مجرد محصول زراعي بل كان عنصراً استراتيجياً في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، مما يوضح أن تطور زراعة الزيتون في المغرب القديم كان نتيجة تكامل العوامل الطبيعية والتقنيات الزراعية والسياسات الرومانية.

التوصيات:

1- نظرا الي اهمية شجرة الزيتون قديما وحديثا علينا البحث عن الكيفية التي ادت الي انتشار غرس هذه الشجرة المباركة وكيف انتشرت زراعتها عالميا.

2- لابد من دراسة تكوينات زيت الزيتون ومعرفة اهميته صحياً.

3- إيضاح دور زيت الزيتون في قيام العديد من الصناعات وخاصة الغذائية منها.

المراجع:

1. محمد الهادي حارش، تاريخ الزيتون في المغرب القديم: الآثار والنصوص، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، الرباط: مركز النشر الأكاديمي، 2015، ص 12–20.

2. بلينوس الكبير (Plinius Maior)، *التاريخ الطبيعي (الجزء النباتي)*، ترجمة وتعليق عبد الكريم الزيلعي، بيروت: دار الفكر العربي، 2008، ص 30–40.

3. خالد بوشاقور، الزراعة الرومانية في شمال إفريقيا، الجزائر: منشورات جامعة الجزائر، 2012، ص 50–60.

4. كولوملا ((Columella، De Re Rustica، ترجمة عربية وتعليق محمد صالح الزيات، القاهرة: دار الفكر العربي، 2005، ص 10–15.

5. فارون (Varro)، الأعمال الزراعية، ترجمة وتعليق سعيد باحث، القاهرة: المكتبة العلمية، 2002، ص 20–25.

6. علي عبد الله، الاقتصاد الزراعي الروماني في المغرب القديم، تونس: المركز التونسي للدراسات التاريخية، 2016، ص 80–90.

7. جمال عبد القادر، الزراعة والسياسة في روما القديمة، عمان: دار الفجر للنشر، 2018، ص 100–110.

8. فؤاد يوسف، توسع زراعة الزيتون في إفريقيا الرومانية، دمشق: دار الياسمين، 2014، ص 120–130.

9. هارون مصطفى، رومنة الأرض والإنسان في شمال إفريقيا، القاهرة: مركز الدراسات الرومانية، 2017، ص 140–150.

10. هنريات كامبسفابر، دراسات في الزراعة التقليدية بزيت الزيتون، الجزائر: نشرات الأكاديمية الوطنية، 2013، ص 160–170.

11. يوسف علوان، تقنيات العصر الرومانية في المغرب القديم، الرباط: دار الأفق، 2019، ص 180–190.

12. نادية المرزوقي، إنتاج الزيت والزراعة الشجرية في العالم القديم، الدار البيضاء: منشورات مركز الدراسات الإنسانية، 2011، ص 200–210.

13. عمر خيري، المعاصر والأدوات الزراعية في بلاد المغرب الرومانية، تونس: دار الثقافة، 2015، ص 220–230.

14. سهى بن صالح، الزيت وتجارة المنتجات الزراعية في الإمبراطورية الرومانية، الجزائر: مجلة العلوم الاقتصادية، 2020، ص 240–250.

15. منى بوقروا، الأمفورات والجرار في شمال إفريقيا، طرابلس: دار ليبيا للنشر، 2016، ص 260–270.

16. أندريه تامر، الاستخدامات الاجتماعية والثقافية للزيتون، بيروت: دار الأبحاث التاريخية، 2018، ص 280–290.

17. سامي بلحاج، تاريخ معاصر الزيتون في المغرب القديم، قسنطينة: منشورات جامعة قسنطينة، 2017، ص 300–310.

18. حسن الزرقاني، المعاصر الصناعية في شمال إفريقيا الرومانية، الرباط: مركز النشر التاريخي، 2019، ص 320–330.

19. لطيفة العروسي، معاصر المدن والريف في المغرب القديم، تونس: دار الكتب العلمية، 2021، ص 340–350.

الهوامش:

(1) محمد الهادي حارش، تاريخ الزيتون في المغرب القديم: الآثار والنصوص، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، الرباط: مركز النشر الأكاديمي، 2015.

(1) بلينوس الكبير (Plinius Maior)، التاريخ الطبيعي (الجزء النباتي)، ترجمة وتعليق عبد الكريم الزيلعي، بيروت: دار الفكر العربي، 2008.

(2) حمد الهادي حارش، 2015.

(3) خالد بوشاقور، الزراعة الرومانية في شمال إفريقيا، الجزائر: منشورات جامعة الجزائر، 2012، ص 50

(4) كولوملا ((Columella، De Re Rustica، ترجمة عربية وتعليق محمد صالح الزيات، القاهرة: دار الفكر العربي، 2005، ص 10

(1) فارون ، الأعمال الزراعية، ترجمة وتعليق سعيد باحث، القاهرة: المكتبة العلمية، 2002، ص 20

(2) نفس المرجع ،ص25

(3) علي عبد الله، الاقتصاد الزراعي الروماني في المغرب القديم، تونس: المركز التونسي للدراسات التاريخية، 2016، ص 80

(1) جمال عبد القادر، الزراعة والسياسة في روما القديمة، عمان: دار الفجر للنشر، 2018، ص 100

(2) فؤاد يوسف، توسع زراعة الزيتون في إفريقيا الرومانية، دمشق: دار الياسمين، 2014، ص 120

(1) هارون مصطفى، رومنة الأرض والإنسان في شمال إفريقيا، القاهرة: مركز الدراسات الرومانية، 2017، ص 140

(2) هنريات كامبسفابر، دراسات في الزراعة التقليدية بزيت الزيتون، الجزائر: نشرات الأكاديمية الوطنية، 2013، ص 160

(3) يوسف علوان، تقنيات العصر الرومانية في المغرب القديم، الرباط: دار الأفق، 2019، ص 180

(1) نادية المرزوقي، إنتاج الزيت والزراعة الشجرية في العالم القديم، الدار البيضاء: منشورات مركز الدراسات الإنسانية، 2011، ص 200

(1) عمر خيري، المعاصر والأدوات الزراعية في بلاد المغرب الرومانية، تونس: دار الثقافة، 2015، ص 220

(2) منى بوقروا، الأمفورات والجرار في شمال إفريقيا، طرابلس: دار ليبيا للنشر، 2016، ص 260

(3) نفس المرجع، ص270

(1) أندريه تامر، الاستخدامات الاجتماعية والثقافية للزيتون، بيروت: دار الأبحاث التاريخية، 2018، ص 280

(2) سامي بلحاج، تاريخ معاصر الزيتون في المغرب القديم، قسنطينة: منشورات جامعة قسنطينة، 2017، ص 300

(1) حسن الزرقاني، المعاصر الصناعية في شمال إفريقيا الرومانية، الرباط: مركز النشر التاريخي، 2019، ص 320

(2) لطيفة العروسي، معاصر المدن والريف في المغرب القديم، تونس: دار الكتب العلمية، 2021، ص 340